

الرثاء في رائية الوزير سمبو ولي جنيد: دراسة وتحليل

إعداد:

الدكتور: أويس إبراهيم

قسم اللغات، كلية القانون والدراسات الإسلامية صكتو

والدكتور: محمد أمين إبراهيم

كلية أسادا الإعدادية صكتو

المقدمة:

الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، الذي كتب على عباده الفناء، واستأثر بالبقاء، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: فهذه المقالة عبارة عن الرثاء لدى الشاعر سمبو ولي جنيد، مع دراسة رائيته في رثاء والده الدكتور الوزير جنيد، دراسة أدبية تحليلية. وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

- التعريف بالشاعر سمبو ولي جنيد
- فن الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد
- دراسة تحليلية لرائيته في فن الرثاء
- ثم الخاتمة يعقبها الهوامش والمراجع.

التعريف بالوزير سمبو ولي جنيد

نسبه ونشأته وتعلمه:

هو محمد سمبو ولي بن الدكتور الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري، ولد بحارة غطاطاوا في مدينة صكتو، عام ١٩٤٧م، وهذا قبل تولية والده الوزارة بأشهر، وتمت التولية سنة ١٩٤٨م. نشأ محمد سمبو ولي جنيد في حجر والديه بين أسرته في بيت الوزارة وهو بيت علم وثقافة

وسيادة، وتربى على يد والده خير تربية، بدأ تعلمه بالقرآن الكريم، ومبادئ العلوم الدينية بمدرسة المعلم إبراهيم بن محمد بشر غطاطاوا، ثم شرع يتعلم بعض الكتب النحوية الأساسية كالأجرومية وملحة الإعراب عند زميله الأستاذ الأديب عبد الله جاتو غطاطاوا وما زال ينتقل من أستاذ إلى آخر طالبا ومستفيدا من أجلة العلماء والأئمة والمثقفين في مدينة صكتو، حتى استقر لدى الشيخ عثمان نليمن الذي درس عنده كتباً في النحو كالفريدة للإمام السيوطي والفية ابن مالك وغيرها.^٣

بعد بلوغه عشر سنوات من عمره انتقل إلى المدارس الحديثة. فالتحق أولاً بالمدرسة الابتدائية لمغاجن رافي صكتو سنة ١٩٥٧م. وتخرج منها سنة ١٩٦٣م. واتصل بكلية الصنّاعية بقرقر صكتو، وقضى فيها سنة واحدة من ١٩٦٣ - ١٩٦٤م، ثم تحوّل إلى كليّة معلمي اللغة العربية بصكتو، ودرس فيها الدروس الثانوية خلال ١٩٦٤ - ١٩٦٨م. وحصل على شهادة الدرجة الثانية للمعلّمين.^٤ ثم واصل دراسته بكلية المعلمين التابعة لجامعة أحمد بلو بزانيا، وتخرج فيها متحصلا على الشهادة النيجيرية في التربية واللغة العربية والإنجليزية سنة ١٩٧٢م^٥

تعليمه ونشاطاته:

لما حصل الشاعر على الشهادة النيجيرية في التربية رجع إلى بلده صكتو، وعُيّن مدرسا، حيث عمل لمدة وجيزة. ثم انتقل إلى كلية عبد الله بايرو كنو فرع جامعة أحمد بلو زانيا آنذاك، فدرس فيها الدروس الجامعية في التربية ولغتي العربية والإنجليزية، حيث نال فيها شهادة الليسانس بدرجة جيد، سنة ١٩٧٥م وبعد انتهائه من خدمة الوطن ورجوعه إلى بلده، أدرك أن جامعة صكتو أنشأت عام ١٩٧٥م فالتحق بها مدرسا في القسم العربي عام ١٩٧٧م وبعد أشهر معدودة أوفدته الجامعة إلى جامعة الخرطوم بالسودان لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، وذلك في عام ١٩٧٧-١٩٧٩م.

ولما عاد إلى نيجيريا، واصل نشاطاته الأكاديمية بجامعة صكتو من بحث وتدرّيس وتثقيف في القسم العربي. وفي سنة ١٩٨١م، التحق بمعهد الدراسات الشرقيّة والإفريقية، بجامعة لندن للحصول

على شهادة الدكتوراه، فتخرّج في سنة ١٩٨٥م حاملا شهادة الدكتوراة في الأدب العربي. ولم يزل الأستاذ الدكتور سمبو جنيد واصلا وظيفته ونشاطاته الأكاديمية بجامعة عثمان بن فودي صكتو، من بحث وتدرّيس و تثقيف في القسم العربي إلى اليوم.

وقد تولى كذلك مناصب مختلفة الأكاديمية وغيرها وشارك في كثير من الخدمات العامة والخاصة كرئيس أعضو لعديد من اللجان والمؤتمرات العالمية، والمؤسسات الوطنية.

انتاجاته العلمية والأدبية

كان الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد باحثا وكاتبا أديبا، وقد جاد على المكتبة العربية والإسلامية بإنتاجات غزيرة وإسهامات سخية متنوعة نثرا وشعرا في لغات مختلفة. ومن مؤلفاته:

- ١- فن المديح في مدينة صكتو بناؤه وأسلوبه بين ١٨٠٤ - ١٩٦٠م. كتاب مطبوع ومنشور سنة: ٢٠٠١م.
- ٢- من نوايغ الشعر العربي النيجيري، الوزير عبد القادر مشطو. مطبوع ومنشور. عام: ٢٠٠٠م.
- ٣- الرحلة المباركة إلى أرض الله المطهرة، طبع ونشر، عام: ٢٠٠٢م.
- ٤- نزهة المغرب من قرى المغرب، والكتاب مطبوع، سنة ٢٠٠٣م.
- ٥- المرمى في الرحلة إلى الجماهيرية العظمى والسول في جمهورية مالي. والكتاب طبع ونشر، سنة: ٢٠٠٨م.

الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد:

إن الرثاء كما عرفه الأدباء هو مدح الموتى وتعداد مناقبهم وأثارهم والتفجع على فقدهم،^١ وهو غرض من الأغراض الشعرية القديمة والحديثة. وأما الرثاء في الشعر العربي النيجيري، فقد ظهر كما ظهر في الأدب العربي الإسلامي، إذ كان الشعراء يسرون على نفس الدرب التقليدي في رثائهم، يذكرون الموت وغدره ويذمون الدنيا وغرورها ويشيرون إلى محاسن الميت، يصفونه بالعلم والتقوى وبالكرم والشجاعة وغير ذلك من الأوصاف.

والظاهر أن الرثاء في نيجيريا في القرن التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، كان أكثر من المدح، فلا يتوفى عالم أو أمير مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الميت^١

وأما فن الرثاء عند الشاعر سمبو جنيد فقد تناوله وقال فيه قصائد، ولكن الباحث لم يحصل إلا على ثلاث مرات، منها، الأولى ينعى بها والده الدكتور الوزير جنيد الشخصية الورعة الفذة، وتقع القصيدة في ثلاثة وثلاثين بيتا. يقول في مطلعها:

يا عين جودي منك بالمدرار * ننعى به ابن الوزير بخاري

ذاك الوزير جنيد أوحده عصره * بحر العلوم يزيد الزخار

والثانية رثي بها زوجه المتوفى السيدة فاطمة الزهراء، في تسعة عشرة بيتا فقال في مطلعها:

إني أقدر لوعتي وسهادي * فقد الحبيبة زوجتي الزهراء

ولقد أثارت ما أكن من الجوى * سالت غروبي وانزوت زرقاء

والثالثة رائية في إحدى وعشرين بيتا قرضها لذكرى حبيبه وأستاذه الأديب عبد الله جاتو غطاطاوا، يقول فيها:

إلى الله رب العرش أشكو مصيبتى * لفقد الحبيب صاحب الفضل والخير

وذلك عبد الله جاتو فقدته * كأني وجاتو توأمان كما أدري

وكان الشاعر سمبو يسير في مراثيه على نفس الدرب التقليدي الإسلامي يذكر الموت وغدره ويذم الدنيا وغرورها، ويشير كذلك إلى محاسن الميت، ويستعمل المعاني الصادقة لا مبالغة فيها ولا ادعاء.

ومن مميزات الرثاء لدى الشاعر سمبو جنيد:

١- الرثاء على الزوج، وهو من نواذر الرثاء في دواوين الشعراء القدامى والمعاصرين، كما

أشار ابن الرشيقي بقوله: "أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛ لضيق

الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات.^١

٢- كون أغلب مراثيه يقرضها بعد أن هدئت نفسه واستقرت باليأس، وألجأ الأمر إلى الله، ومثال ذلك مرثيته في ذكرى أستاذه الشاعر عبد الله جاتو، قرضها بعد مضي عشر سنين بوفاته، وكذلك رثاؤه على زوجه الراحلة (السيدة فاطمة) نظمها إبان زيارة ضريحها يوم ١١-٥ - ٢٠١٤م وذلك بعد أربع سنوات بوفاتها.

دراسة تحليلية لرائيته في رثاء والده الوزير جنيد نص القصيدة:

* يا عين جودي منك بالمدرار	* ننعى به ابن الوزير بخاري
* ذاك الوزير جنيد أوجد عصره	* بحر العلوم بزیده الزخار
* ينسبك مسبل ودقه في صوبه	* بفنونه وبيانه الكرار
* لا ينتهي إن جاد في تفسيره	* كلمات علم الضاد فيض جار
* حفظ الشروح وأمتنها فكأنه	* يوحى إليه لطائف الأنوار
* وإذا تشرق في فنون النحو أو	* علم العروض يموج كالتيار
* يغنيك ثاقب فهمه عن غيره	* ما غيره يغنيك في الأخبار
* والدهر يأبى أن يوجد بمثله	* في الحلم والإحسان في الأقطار
* غير الزمان بسبويه زمانه	* وخليله في النحو والأشعار
* لولاه ما التاريخ جار بذيله	* خيلاء في الأزمان والأمصار
* إذ يضبط التاريخ ضبطاً فائقاً	* طلاعه في الليل والأسحار
* بكت اللغات عريفها علامها	* فالضاد آو فلفلد لمن سيماري؟
* في الزهد كان وحيداً في عصره	* ما مثله في ذا سوى الأختيار
* خضعت له الدنيا بأرغد عيشها	* فأطاحها بالصوم والأذكار
* جمع الوزارة والعلوم نفيسها	* يا واصل الأرحام بالقنطار
* حمّال أثقال اليتامى ثابت	* في جوده حضراً وفي الأسفار
* ناهيك في التقوى ورقة قلبه	* في حبه ولخصمه الأعمار
* علامة الأنساب في تأليفه	* نيل المآرب فاز بالأوطار

* فكلى لفقء ألىفها بن بفارى	فن الءءء شروه ومةونه
* فى هءه الأءقاب والأعصار	فى الأءب موب زاءر من مءله
* ومءرسا فزنا مءى الأعمار	مازال ىءءفنا علوما ءارسا
* ءالاءه الءءرىس طول نهار	ما كان ىسءم فى انءشار العلم إء
* ءءى ىءن اللل بالأسءار	بعء النهار مواصلا ءءرىسه
* ىفنون والءنلا لءى الأشرار	واكربءاه فقء الءهابء بنننا
* أىقنء أنى صرء فى الأءطار	واواءءاه لأب مرب عالم
* ىارب ألءقه مع الأبرار	ماء الوزىر وكل شىء هالك
* سكنه فى الفرءوس بالمءءار	ىارب نور قبره واغر له
* صبء الءمىس ءظىء باسءءكار	من سائلى عن كنه ىوم وفاءه
* فقء الوزىر ءرى قضااء البارى	فى شىءز رماضان أول ىومه
* وىنبله الرضاوان بالابشار	والله ىرحمه وىكرم ضىفه
* هو سمبو من بىء الوزىر بفارى	ىاسائلا عن صاحب الأبىاء قل
* ما ماءء الأرىاء بالأمطار	ىارب صل على ءبىبك مصطفى
* مع آله الشءءاء والأطهار ^{١٧}	وعلى صءابءه الكرام أولى النهى

• غرض القصىءة وموضوعها:

الغرض من القصىءة الرءاء، قالها الشاعر سمبو ءنىء ىرئى بها والءه الءءءور الوزىر ءنىء بن الوزىر محمد البءارى. وءقع القصىءة فى ءلاءة وءلائىن بىءا.

• أفكار القصىءة:

ءءور هءه القصىءة ءول ءءء من الأفكار أهمها:

١- البكاء واستءرار الءموع:

اسءهل الشاعر قصىءءه بمءاطبة نفسه واستءءاء عىنه لءسكب وءنهمر وءسىل الءموع باكىة لفقء علم من أعلام بلء صكءو وءهبء من ءهابةء أءباء القرن العشرىن قائلال:

يا عين جودي منك بالمدرار * ننعي به ابن الوزير بخاري

٢- التعريف بالمرثى عليه وخصوصياته:

ثم انطلق الشاعر في الأبيات التالية في مستهل القصيدة بالتعريف بالمفقود وبعض خصوصيته التي خصه الله بها بين أفراد أسرته ومعاصريه بقوله:

ذاك الوزير جنيد أوجد عصره * بحر العلوم بزبدته الزخار

إلى قوله:

حفظ الشروح ومنتها فكأنه * يوحى إليه لطائف الأنوار

- ذكر ثقافته العلمية وتفوقه فيها:

أردف الشاعر في الأبيات التالية بذكر ثقافة الوزير العلمية وتبحره في العلوم الدينية واللغوية وبالأخص العلوم الأدبية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وتاريخ وغير ذلك ولهذا سماه بسيبويه زمانه في النحو وخليه في العروض والقافية بقوله:

وإذا تشرق في فنون النحو أو * علم العروض يمج كالتيار

إلى قوله:

لولاه ما التاريخ جار بذيله * خيلاء في الأزمان والأمصار

٣- التأين: ١٨

ثم شرع الشاعر في تأين الميت كما جرى دأب الشعراء في الرثاء من ذكر مناقب موتاهم وتعداد محاسنهم الحميدة، وأغلبها مصبوغة بصبغة دينية من التقوى والعفة والوقار والصبر والأمانة وتحمل أثقال الناس وغير ذلك. وقال في ذلك:

والدهر يأبى أن يجود بمثله * في الحلم والإحسان في الأقطار

إلى قوله:

ناهيك في التقوى ورقة قلبه * في حبه ولخصمه الأعمار

٤- الندبة والتفجع واللوعة:

الشاعر قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع بأنواعه من ندب، ونداء، وبكاء ووحشة، لفقد العباقرة أمثال هذا الراحل الأب الحنون المرب العالم المتفنن الذي بكت اللغات والفنون العلمية لفقده. فقال:

واكربتاه فقد الجهابذ بيننا * يفنون والدنيا لدى الأشرار
واوحشتاه لأب مرب عالم * أيقنت أني صرت في الأخطار

التعزي والدعاء للمفقود:

اختتم الشاعر قصيدته وهو يعزي أهل الفقيد وأقاربه والشعب النيجيري جميعا ويطالهم بالتصبر، مبينا أن متوفاهم ليس أول من ذاق الموت بل ذاقها قبله خلق كثير واستدل بأية من القرآن الكريم. وأخيرا أكمل أبياته بالدعاء للمفقود مع ذكر تاريخ يوم وفاته (رحمه الله تعالى).
قائلا:

مات الوزير وكل شيء هالك * يارب ألحقه مع الأبرار

إلى قوله:

في شيتز رمضان أول يومه * فقد الوزير جرى قضاء الباري

بناء القصيدة:

المطلع:

أبدع الشاعر ووفق في تصميم قصيدته حيث استهلها بمطلع رائع جذاب ينبي ويوحى للقارئ أو السامع بغرضها ومضمونها فيعرف منها المنبع والمنصب بدون أن يقرأ جميع الأبيات، وهذا مطلعها:

ياعين جودي منك بالمدرار * ننعي به ابن الوزير بخاري

المقطع:

امتازت القصيدة بحسن المقطع، وذلك لأن الشاعر اختتمها بخاتمة حسنة طيبة فيها دعاء وصلابة على النبي صلى الله عليه وسلم ناهجا في ذلك منهج شعراء الرثاء من المسلمين بقوله:

والله يرحمه ويكرم ضيفه * وينيله الرضوان بالإبشار
يارب صل على حبيبك مصطفى * ما ماجت الأرياح بالأمطار
وعلى صحابته الكرام أولي النبي * مع آله الشهداء والأطهار

العاطفة والانفعال:

أما العاطفة السائدة في هذه القصيدة فإنها عاطفة حزن وتحسر لفقد والد حنون عزيز ذي مكانة اجتماعية ودينية وعلمية، فلذلك حين يرثيه يكون منفعلا بإحساس لامثيل له، ولأن وفاة الوالد يكون أشد وقعا على القلب، ولذا كان كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع الشديدين لفقدته، غير أنه يلاحظ منه الإلتزام بالتعاليم الإسلامية في رثائه وامتنال أوامر الله والرضا بقضائه وقدره.

• الأسلوب:

لما كان الأسلوب يعتبر وسيلة يؤدي بها الأديب معانيه لبيث للناس خوالج نفسه، صار أسلوب شاعرنا يتسم بالطرافة لكونه يجمع بين السهولة والجزالة، ويتجلى بسلاسة العبارة وعدوبة الموسيقى. ويمكن ملاحظة ذلك عند تتبع الألفاظ والتراكيب.

أ- صياغة الألفاظ:

أجاد الشاعر عند رسم قصيدته باختيار ألفاظ ذات ميزة حسنة وملائمة تقدر على وصف غزارة حزنه وألمه تجاه المفقود، مثل: النعي، والمدرار، والحزن، والدموع، والكرب، والبكاء، والأخطار، وما ضارعها من الألفاظ المعتبرة في الداهية. وكذلك لا يكاد الباحث يجد في هذه القصيدة على طولها لفظا نابيا أو مبتذلا أو مستكرها وهذا يدل على ثروة لغوية تأثر بها الشاعر من قراءاته الأدبية، وثقافته اللغوية. وقد ساعده ذلك على انتقاء ألفاظه وتخيرها، حتى تعبر بجلاء عما يريد. ومن ذلك قوله:

حمل أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار

اختار الشاعر هنا لفظة (حمّال) التي تدل على المبالغة على غيرها للدلالة على كثرة تحمل أنقال الناس. وهكذا... فكل لفظ من ألفاظ القصيدة دال على معناه، وملائم لمقارنه من الألفاظ. ولا يستثنى من ذلك إلا القليل النادر من الألفاظ.

ب- صياغة التراكيب والجمل:

تبدوا تراكيب القصيدة سليمة في جملتها من عيوب اللغة وأخطاء الإعراب بقدر الإمكان، وذلك لأن الشاعر أحسن في صياغة الجمل حيث أنشأ تراكيب سهلة ومرنة ومثيرة للعاطفة، ليسهل للعامة والخاصة المسايرة معه في تناول القصيدة. وكانت تعابيره كلها بسيطة لا تعقيد فيها، وغالبا يستعمل الجملة الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد أو الفعلية الدالة على الحدوث والاستمرار في بيان صفات ممدوحه، كقوله:

علامة الأنساب في تأليفه * نيل المأرب فاز بالأوطار
حمال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار
والدهر يأبى أن وجود بمثله * في الحلم والإحسان في الأقطار

• الصور البلاغية

ومن الصور البيانية التي استخدمها الشاعر في القصيدة ما يلي:
التشبيه المؤكّد: وهو التشبيه الذي لم تُدكّر فيه أداة من أدوات التشبيه. ومثله: قول الشاعر:

ذاك الوزير جنيد أوحده عصره * بحر العلوم بزیده الزخار
غبر الزمان بسبويه زمانه * وخليله في النحو والأشعار

أورد الشاعر في هذين البيتين التشبيه المؤكّد في قوله: (بحر العلوم) و(سبويه زمانه في النحو، وخليله في النحو)، استعان الشاعر بهذا التشبيه ليظهر رفعة قدر الوزير في العلم وتفننه فيه، ولذلك شمهه بالبحر في السعة وارتفاع الأمواج والزيد. وكذلك شمهه بسبويه، لتبحره في فن النحو، وبالخليل في تفوقه في علم العروض. وهذا من أرقى أنواع التشبيه أثرا في نفس السامع.

الاستعارة: وهي مما أجاد فيها الشاعر، لما أراد أن يصف تفنن ممدوحه في العلوم والقيام بنشرها للطلبة، قال:

ينسيك مسبل ودقه في صوبه * بفنونه وبيانه الكرار

ويلمس في هذا البيت مجازان لغويان هما (مسبل ودقه) و(صوبه) إذ أن كليهما لم يستعملا في معناهما الحقيقي الذي وضع له، بل استعير لعلاقة المشابهة بين المعنيين، ليدل على غزارة علم المفقود وكثرة تعليمه للطلبة ونشره عن طريق التأليف والتصنيف. ومن الصور المعنوية التي استخدمها الشاعر في قصيدته:

النداء: وهو من أساليب الانشاء الطلبي، والغرض منه طلب الإقبال بحرف ناب مناب (أدعوا).^{٢١} وقد ورد في قوله:

جمع الوزارة والعلوم نفيسها * يا واصل الأرحام بالقنطار

والملاحظ في هذا النداء أن الشاعر أقبل على الميت يناديه ويذكر بعض خصاله الفاضلة، لا لطلب الإقبال، بل للتوجع والتحسر لفقده. فاستعمل أداة (يا) وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً، وهي لكل مُنادى، قريباً كان، أو بعيداً، أو متوسطاً. ولكن الشاعر استعملها هنا، لينبئ بسمو منزلة الفقيه، وليعبر عن حضوره في قلبه واستقراره في فؤاده، ولقول العلماء: "والعالمون وإن ماتوا فأحياء".

التصریح:

ومن أهم الأدوات الفنية المحققة للموسيقى الداخلية (التصریح) وهو أن يجعل الشاعر أعاريض أبياته مقفاة على نظير أضربها في الحركات والسكنات والحروف وترتيبها. وكثيرا ما يلزم الشاعر سمبو التصریح في مطالع قصائده فقط كما أوقع ذلك في مطلع هذه القصيدة بقوله:

يَا عَيْنُ جُودِي مِنْكَ بِالمِيدَرَارِ * نَنُوعِي بِهِ إِبْنِ الوَوزِيرِ بُخَارِي

فالنكتة الملموسة عن التصریح في البيت السابق، أنه أحدث فيه نغماً موسيقياً يثير النفس، وتطرب إليه الأذان لأنه جاء من غير تكلف، وأنه نبه القارئ إلى قافية القصيدة قبل كمال البيت

الأول منها، وفيه أيضا دلالة على سعة قدرة الشاعر في أفانين الكلام، والتزامه بسنن الشعراء القدامى ممن يتوخون دقة التنظيم، وصفاء التنغيم كما أشار إلى ذلك الفروفيديسور عبد الباقي أغاكا^١

• الموسيقى الداخلية:

فهي متعلقة بما يتكون منه البيت الشعري من حروف وحركات وكلمات ومقاطع يعمد الشاعر إلى خلقها باعتماد أساليب وأشكال متعددة اعتمادا على موهبته وخبرته ومهارته وذوقه الموسيقي واللغوي^{٢٣}

وهذه الموسيقى تتمثل في المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، من جناس، وسجع، ومقابلة، وترتيب الكلمات وتخيورها، وكل ما من شأنه أن يعين على تجويد البنية والرنين في أبيات الشعر. ومما يساهم في الإيقاع الداخلي وإحداث التناغم الموسيقي وأثره الخفي في المعنى، الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الشعر أو النثر.^{٢٤}

ومن لطائف الطباق في القصيدة قوله:

حمال أثقال اليتامى ثابت * في جوده حضرا وفي الأسفار
فن الحديث شروحه ومتونه * ثكلى لفقد أليفها بن بخاري

يلاحظ في البيتين السابقين أن الشاعر طابق بين الكلمتين (حضرا، وفي الأسفار). وبين (شروحه، ومتونه) وهذه العبارات جمعت بين الأمور المتضادة، أتى بها هنا ليعلم سامعه وقارئه هذه الصفات التي اتصف بها ممدوحه، وأنها لازمة له في جميع أحواله، ولأن في جمع الضدين معنى لطيف ومغزى تطرب إليه الأذن، وبالأخص مثل هذه التي نتوقع أنها أتت من الشاعر عفاوا بلا تكلف.

^١ - أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، ص: ٢٧٢

ومن المحسنات المعنوية البديعية أيضا اللف والنشر: وتكمن بلاغته في أنه يريئ النفوس، ويعدها لتلقي ما يذكر بعد من النشر العائد إلى اللف، فإذا ما ذكر النشر بعدئذ وقع في النفوس موقعه، وتمت الفائدة أحسن تمام، وتحقق الغرض أبلغ تحقيق.^{٢٦}

ويلاحظ اللف والنشر في مثل قوله:

غبر الزمان بسبويه زمانه * وخليه في النحو والأشعار،

الشاعر أراد أن يشير إلى تبحر مفقوده في النحو والشعر، فشبهه بسبويه في النحو، وبالخليل الفراهيدي في علم الشعر، فعبر بذلك عن طريق اللف والنشر المرتب، وهو الأفضل والأروع والأبدع من بين أنواعه كما أشار البلاغيون^{٢٧} والنكتة الملموسة فيه هي التوازي الذي حققه، حيث كل لفظة تأتي بموازاة اللفظة التي تدل عليها، فالنحو راجع إلى سبويه لكونه إماما فيه، والأشعار إلى الخليل لأنه أول من وضع علم العروض. أتى بذلك ليؤكد المعنى المراد ويعظمه، ويثير التخيل والتصور عند السامع مما يجعل المعنى يرسخ في ذهنه.

• الموسيقى الخارجية:

أما الموسيقى الخارجية^{٢٨}؛ فهي التي تبحث عن الأوزان والقوافي. وحافظ الشاعر سمبو في هذه القصيدة على النمط العمودي المؤلف في موسيقى الشعر العربي، لكونه ذا ذوق سليم في اختيار الأوزان والقوافي الملائمة لقصائده، وذلك لكون أبلغ الأوزان ما لاءم الموضوع وعاطفته. فقصيدته الشاعر سمبو رائية الروي من بحر الرجز، الذي يلائم الشعر العلمي، وماله صبغة علمية كالرثاء وغيره. استخدم هذا البحر لكونه أخف على لسان المنشد، واللسان به أسرع. وكان يلائم موقفه، يعكس لوائح حزنه، ويسهل في السمع ويقع في النفس، لأنه وزن رقيق يجود نظمه في الأحزان، والأفراح، وغير ذلك. .

ومما زاد خفة أسلوب الشاعر وسهولته ووضوح معناه، إثارة استخدام قافية الراء من القوافي الدلل الرقيقة الواضحة، وهي مما توافر لدى العرب من الأصوات، وكانت من أكثر الحروف استعمالا في ديوان الشاعر سمبو جنيد لأن الراء حرف مجهور مكرر من الأصوات المتوسطة، ولم

تكن مما يثقل ويجنم مخالفة للذوق السليم، وتكون أصلا في الكلمة، لا بدلا، ولا زائدا، كما أشار إلى ذلك اللغويون.^{٢٩}

الخاتمة:

حاول الباحثان في الصفحات السابقة دراسة فن الرثاء لدى الشاعر سمبو ولي جنيد، ثم أردفا ذلك بتحليل رائيته في رثاء والده، من حيث ذكر بعض من قيمها المعنوية والفنية، مظهران فكرة نصها وأسلوبها وموسيقها الداخلية والخارجية، وأخيرا أدرك الباحثان فيما تم عرضه، أن الشاعر سمبو جنيد رثى شيوخا وأبطالا من أبطال هذا الشعب، وأنه تميز بين الشعراء بالرثاء على الزوج، وهو من نوادر الرثاء في دواوين الشعراء القدامى والمعاصرين.

الهوامش والمراجع

- ١- مقابلة شفوية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بزّا صكتو، ٥-٨-٢٠١٣م
- ٢- مقابلة شفوية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بحارة بزّا صكتو، ٥-٨-٢٠١٣م
- ٣- المرجع السابق.
- ٤- أغاكا عبد الباقي، المطارحة بين الوزير جنيد ونجله محمد سمبو، مجلة النهضة، ص: ٣٤
- ٥- د. ثاني عمر موسى من نوايغ الشعر العربي النيجيري الدكتور سمبو ولي جنيد. للمؤتمر الخامس عشر ص-٦
- ٦- مقابلة شفوية مع الأستاذ سمبو جنيد، في مكتبه الخاصة في بيته بزّا صكتو، ٥-٨-٢٠١٣م
- ٧- د. ثاني عمر موسى، من نوايغ الشعر العربي النيجيري الدكتور سمبو ولي جنيد. للمؤتمر الخامس عشر ص-٦
- ٩- غلادني، أحمد سعيد (الدكتور) حركة اللغة وأدائها في نيجيريا، ص ١٤٧
- ١٠- ابن الرشيقي، العمدة في محاسن الشعر، ج ٢ ص ١٥٤
- ١١- وفي نسخة (ب) لاينسني بالسين، وبالثناء أليق معنى.
- ١٢- و في (أ) حفظ الشرح بالإفراد، وبالجمع أصبح معنى ووزنا.
- ١٣- يعني لغة الضاد، وهي اللغة العربية.
- ١٤- وفلفلد: إحدى لغات الإفريقية وهي المعروفة بـ(الفلاتية)

- ١٥- الأحقاب: جمع حقب بضميتين بمعنى الدهر.
- ١٦- شيتز: رمز للسنة الهجرية، والمراد به سنة، ١٤١٧ هـ لأن حرف الشين تدل على (١٠٠٠) والياء (١٠) والتاء (٤٠٠) والزاي (٧) وهذا من علم الحساب.
- ١٧- توجد القصيدة في مكتبة الشاعر الخاصة، وفي مجلة مالم، العدد الرابع سنة ٢٠٠٠م.
- ١٨- تأييد الميث: إنما هو يمثل ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل فيه شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح، وهو أن يكون العي وصف مثلاً بالجود، فلا يقال في التأييد: كان جواداً ولكن يقال: ذهب الجود، ومثل: تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء. اهـ ملخصاً من كتاب نقد الشعر، ج ١ ص: ١٧
- ١٩- الأصل في الندبة: الدعاء - وإن اشتهرت بكاء الأموات و قولهم عنده: وافلاناه:-. راجع كتاب شرح الحماسة ج/١ ص: ٣
- ٢٠- راجع كتاب الأسلوب الصحيح في البلاغة، جماعة من الأساتذة، ص: ٣٣
- ٢١- محمد أبو موسى، دلالة التراكيب، ص: ٢٦٢
- ٢٢- علم الموسيقى علم يعرف منه النغم والإيقاع وأحوالها وكيفية تأليف اللحن واتخاذ الآلات الموسيقارية، وموضوعه الصوت من وجه تأثره في النفس باعتبار نظامه
- ٢٣- داحي أسية، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، ص: ٧٧
- ٢٤- محمد طاهر اللادقي، المبسط في علوم البلاغة، ص: ٢٢٦
- ٢٥- وهو ذكر شيتين أو أشياء متعددة على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من أحاد المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد ما لكل من أحاد المتعدد إلى ما هو له. ينظر، بسيوني، الدكتور، علم البديع، ص: ١٧٥
- ٢٦- بسيوني، المرجع السابق، ١٧٧
- ٢٧- الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٢٩٠
- ٢٨- وهي "الشكل الخارجي للقصيدة يحكمها علما العروض والقافية وما يتفرع عنهما. ينظر، داحي أسية، الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، ص: ٦٩
- ٢٩- ابن منظور، جمال الدين لسان العرب، ج ١٤ ص ٣٥٥